الفصل الثالث

مصر فى عصر الفتنة الكبرى

تعتبر الفتنة الكبرى التي وقعت بين المسلمين في عصر الخليفة عثمان بن عفان، نقطة فارقة في تاريخ الأمة الإسلامية ومازال مجال البحث فيها مفتوحًا لم يغلق ولن يغلق إلى قيام الساعة.

نالت تلك الفتنة من مصر كما نالت من كل ولايات الدولة الإسلامية، وكانت سببًا في انقسام الأمة الإسلامية وتمزيقها.

باختصار شديد فإن أعداء الإسلام أدركوا استحالة الكيد له من خارجه، فعزموا على الكيد له من داخله وتمزيق أمته الواحدة، فقد خرج رجلًا يهوديًا من صنعاء باليمن هو عبد **الله** بن سبأ، وأعلن إسلامه فجأة، وأظهر غيرةً شديدةً على الإسلام والمسلمين، والإسلام منه برئ واستطاع أن يقلب الناس على الخليفة عثمان بن عفان.

وقبل أن نرى كيف نالت هذه الفتنة من مصر باعتبارها واحدةً من أهم الولايات الإسلامية، فعلينا أن نذكر بقوله تعالى:

"وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (التوبة) (١٠٠)

فلا أحد أطيب من الصحابة، ولا أخلص لدين الله ورسوله مثلهم، فرضي الله عنهم وعمن سار على نهجهم إلى يوم الدين، وقد ذكر الحافظ بن كثير في تفسيره:

"يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم، والنعيم المقيم.....»

الى أن قال:

> **" فياويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولاسيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم – أعني: الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة "[1]**

1- تفسير ابن كثير (370/2)

وقال القرطبي في تفسيره لقول الله تعالى:

" وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" (الحجرات)(9)

" لايجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع له، اذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه، وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألَّا نذكرهم إلَّا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي ﷺ عن سبهم وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم "

على أي حال فإن رأس الأفعى وأساس الفتنة عبدالله بن سبأ، لما لم يجد استجابة لدعوته المنادية بعزل عثمان من الخلافة في الجزيرة العربية، قرر أن ينتقل إلى مصر، ووجد فيها أرضا خصبة لنشر دعوته واتخذها قاعدة لنشر دعوته في البلاد الإسلامية، وانتعشت دعوة ابن سبأ في مصر، وانضم إليها الكثير من المصريين، وتوالت الأحداث حتى اجتمع عدد كبير من أتباعه في المدينة حول بيت الخليفة عثمان بن عفان قادمين من مصر والبصرة والكوفة حتى استشهد عثمان.

آلت الخلافة إلى أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، إلَّا أن معاوية بن أبي سفيان والي الشام رفض أن يبايع عليا بالخلافة، وكانت ذريعته المطالبة بدم عثمان بن عفان، وقد تبعه في ذلك عمرو بن العاص والذي يبدو أنه رغب في العودة إلى ولاية مصر.

قام الإمام علي بن أبي طالب بتنصيب محمد بن أبي حذيفة واليا على مصر وطرد منها عبد الله بن سعد بن أبي السرح فلما علم معاوية بن أبي سفيان بانضمام مصر إلى الخلافة الشرعية وأضحت لأمر أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، تطلع معاوية إلى ضمها لملكه فسار مع عمرو بن العاص إلى مصر وأخرج منها محمد بن أبي حذيفة.

عهد بعد ذلك الإمام علي بن أبي طالب إلى قيس بن سعد بن عبادة بحكم مصر والذي حكم بالعدل وسار في الناس سيرة حسنة،إلَّا أن الإمام علي قام بعزله لما علم عنه من مهادنة معاوية، ثم ولى مصر محمد بن أبي بكر الصديق، إلَّا أن الناس استخفوا به، فعهد الإمام علي بن أبي طالب إلى الأشتر النخعي بولاية مصر والذي لم يصل إليها ومات مسموما على أبوابها بفعل سم دس له في الطعام، فاضطر الإمام علي إلى ابقاء محمد بن أبي بكر في ولاية مصر.

استطاع فريق معاوية بن أبي سفيان هزيمة محمد بن أبي بكر وانتزاع ولاية مصر من دولة الخلافة التي يحكمها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والذي استشهد سنة 40 من الهجرة على يد أحد الخوارج هو عبد الرحمن بن ملجم.

باستشهاد الإمـام علي بن أبـي طالب انتهى عصر الخلافة الراشدة، وبدأت الدولة الإسلامية عصرا جديدًا عرف باسم الدولة الأموية نسبة إلى نسب مؤسسها معاوية بن أبي سفيان وحكامها من بعده، ومع بداية عصر الدولة الأموية، عاد عمرو بن العاص واليا على مصر، وتعتبر هذه هي ولايته الثانية على مصر، ليبدأ عصر مصر في ظل حكم بني أمية.